شَرح كلام

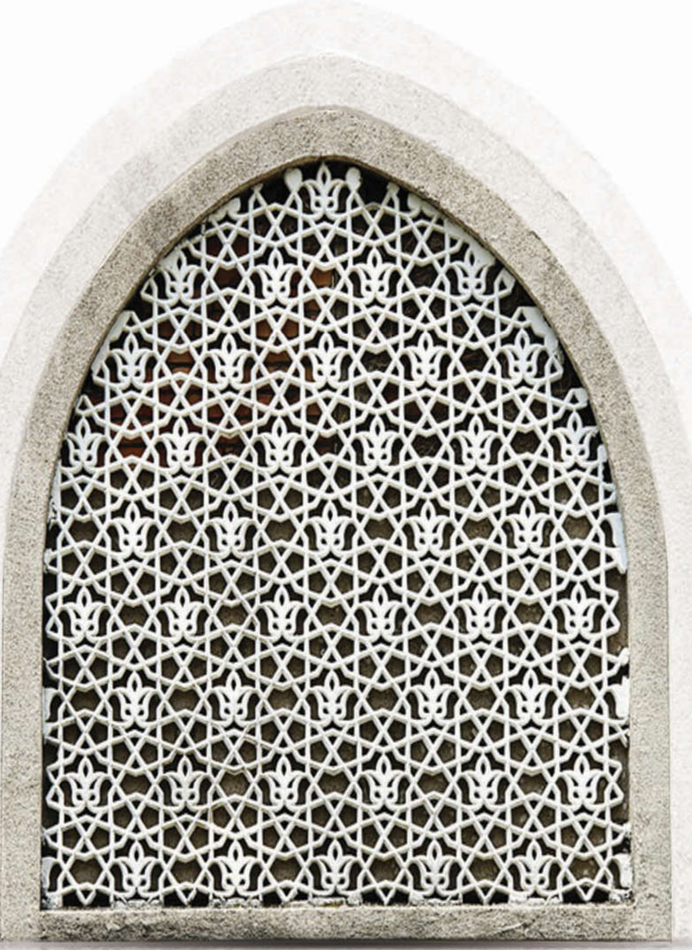
شيخ الإسلام ابن تيميّة

بذكر الصفات الثلاث التي يحتاج الداعية والمحتسب

شرح

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

(غفر الله له ولوالديه وعامله بلطفه)



دار الحكمة
للطباعة والنَّشر

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

وبعد: فهذا شرح لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، في الصفات التي يحتاجها الداعية والمحتسب، وهي صفات عظيمة، من أنبل صفات رسل الله عليهم السلام، فهم أول دعاة أرسلهم الله تعالى إلى الأرض، وهم القدوة الذي ينبغي بهم أن يقتدى قال تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]

وأسأل الله أن يجعل هذا الشرح المختصر خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، ويتقبله.

حرر: في (٢٥) رمضان يوم الاثنين من عام ١٤٤١هجري.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي: "**فلا بدَّ من هذه الثلاثة العلم، والرفق، والصبر.**

العلم قبل الأمر والنهي.

والرفق معه.

والصبر بعده"

ذكره في كتابه: [الأمر بالمعروف، "(ص١٨)"، وفي كتابه، "الحسبة"، "(ص٥٩)"، وفي كتابه "الاستقامة"، "(٢/٢٣٣)"، وهو في "مجموع الفتاوى"، "(٢٨/١٣٧)"]

وأصل هذا الكلام: قد روي بنحوه عن أمير المؤمنين في الحديثِ سفيان الثوري رحمه الله ونصُّهُ: "لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى"

[رواه الخلال في "الأمر بالمعروف"، "(ص٢٤)"، ورواه الشيخ عبد الرحمن الدمشقي الصالحي في كتابه "الكنز الأكبر من الأمر

بالمعروف والنَّهي عن المنَّكر"، "(ص٣٦٣)"، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهم مرفوعًا، ولا يصح.]

❖ التعليق على كلام الشيخ وبيانه ما فيه.

أشار الشيخ رحمه الله إلى ثلاثية مهمة يحتاجها من يدعو إلى الله، ومن نصب نفسه محتسباً على الناس، وهذه الثلاثية هي نموذج قويم للداعية الناجح والمؤثر، والتي هي من أعظم خصائص الأنبياء، وورثتهم من العلماء.

وذلك أن الدعوة إلى اللهِ تعالى حتى تسير بالمسار الصحيح فلا بدَّ للداعية من معرفة الأخلاقيات والصفات التي يجب عليه أن يمتثلها، وقد جمع رحمه الله بكلامه الحسن هذا، أصول الأخلاق التي ينبغي أن يكون عليها الداعية.

فاعلم بإنَّ أول مرتبة لمن أراد التصدر لهذه المنزلة العظيمة هي التحلي بصفة "العلم"، فالعلم خير وسام يتسم به الداعية، وأجمل ثوب يلبسه الواعظ.

وذلك لأنَّه من البصيرة التي جاء بها الأنبياء والمرسلين، والتي قال فيها الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]

وفي الحديث: "(إنَّما العلم بالتعلم)"[١]، وإنَّما: تفيد الحصر، ومعناه: لا طريق يوصل للعلم إلا بالتعلم.

ومفاد ذلك: أن على القائم بهذه الوظيفة الربانيَّة أن يكون ذا علم ودراية بكل ما يتعلق بالدعوة، وبكل ما يخدم الدعوة ويساهم في تقويتها، وإقبال الناس عليها، وعلى ما تتضمنه من فعلٍ وقولٍ ونية، وأمر ونهي، وخلق ومعاملة.

ولهذا وصف العلم، فقيل فيه: «قوام العالم، وعماد العمران، وهو الكنز الثمين، والذُّخر الذي لا يفنى»[٢]

وقال أبو حنيفة لإبراهيم: «إنَّك رزقت من العبادة شيئاً صالحاً، فليكن العلمُ مِن بالك، فإنَّه رأسُ العبادة، وبه قِوام الدين»[٣]

---

١ –انظر: السلسلة الصحيحة، برقم"(٣٤٢)"

٢ –قواعد التحديث، "(ص٢١٥)"، ط: دار الكتب العلمية.

٣ – انظر: "مسند إبراهيم بن الأدهم" لابن منده رقم، "(٤٦)"

فأصل العلم الذي ينبغي أن يحوزه الداعية إلى الله هو العلم الشرعي، وذلك لأنَّ من خير الوسائل، وأقوى الأدلة في المحاججة والاقناع هو العلم.

والذي يمتنع عن قبول الحق غالبًا هو إمَّا:[٤]

جاهل جهلاً مركب (كالمتعالم..)

أو صاحب هوى (كالمنافق أو الزنديق...)

أو متأولاً (وهذا يزول ولا يبقى؛ لأنَّ الحق ليس له إلا وجه واحد وطريق واحد، ومتبع الحق ولو كان متأولاً فلا بدَّ أن يذعن للحق، وإلا فهو واحد من الصنفين السابقين، ولو ادعى البراءة عن تلك الصفتين بلسان المقال، فلا عبرة للسان المقال إذا خالف لسان الحال، وقد أبى الله إلا أن يظهر أهل النَّفاق بزلات ألسنتهم وأقلامهم ولو تهربوا وادعوا خلاف ذلك) [٥]

٤–راجع: قاعدة بذكر ثلاثة أصول عورضت بها الشريعة.

٥–في "تفسير ابن كثير"، "(٣٢١/٧)"، ط: طيبة، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه.

وكثيرٌ من ينكر فيقع في إنكاره في -بعض الأحيان- بمنكر أعظم!؟، وإنَّما يؤتى صاحب ذلك من التحمس الزائد، والعاطفة الهائجة، وقد ضبط الإمام ابن القيم رحمه الله ذلك ببيان درجاته، فقال: "فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أنْ يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أنْ يقل وإن لم يُزل بجملته.

الثالثة: أنْ يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أنْ يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأولَتَانِ مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة"[٦]

وفي "مصنف ابن أبي شيبة" بسنده عن عمر بن عبد العزيز، قال: «من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، ومن عمل بغير علِم كان ما يفسد أكثر ممَّا يصلح»[٧]

٦–انظر: إعلام الموقعين، "(٤/٣٣٩)"، ط: ابن الجوزي.

٧–انظر: مصنف ابن أبي شيبة، "(٣٦٢٤٦)"

ومن فقه الإنكار الذي يحتاج صاحبه العلم قبل القدوم على الإنكار، وكذلك الاحتساب، والدعوة:

*مراعاة الخلافات المذهبية في باب الفرعيات، مع طلب الدليل والأخذ به.

*القصد والنية الإرشاد إلى الحق لا التعصب، وها هنا مسألة إذا كان يرى المُنكِر شيئاً موافقاً لمذهبه، والمنكر عليه على خلاف المذهب، وفي الأمر سعة، فهل يلزمه بذلك، ذكر الماوردي الشافعي في "الأحكام السلطانية"، فقال: "واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي، هل يجوز له أن يحمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف الفقهاء فيها على رأيه واجتهاده أم لا؟ على وجهين:

أحدهما: وهو قول أبي سعيد الإصطخري: إن له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالما من أهل الاجتهاد في أحكام الدين؛ ليجتهد رأيه فيما اختلف فيه.

والوجه الثاني: ليس له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده، ولا يقودهم إلى مذهبه لتسويغ الاجتهاد للكافة، وفيما اختلف فيه،

فعلى هذا يجوز أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد إذا كان عارفا بالمنكرات المتفق عليها"[٨]

قال ابن العطار في "شرح على الأربعين": "والأصح أنَّه لا يغير؛ لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصَّحابة والتابعين، ولذلك قالوا: ليس للمفتي أن يعترض له على من خالفه إذا لم يخالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًا، والله أعلم"[٩]

*ضبط مسائل العلم، وأصول الفقه وقواعده، ومعرفة العام والخاص، والحقيقة والمجاز وغير ذلك من الضرورات التي تضبط فهم النصوص.

فهذه الكلمة **[العلم قبل الأمر]** كلمة عظيمة جامعة للخير، من حازها حاز القدح المعلى، ونال من الخير أعظمه وأشمله.

---

٨ –انظر: الأحكام السلطانية، "(ص٣٦٤)"، ط: المكتب الإسلامي، و"(ص٣٥١)"، ط: دار الحديث.

٩ –شرح الأربعين النووية، "(ص١٦٦)"

○ ثمَّ ذكر الشيخ رحمه الله قائلاً: **[والرفق معه]**

والرفق يعرفه البعض، "هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها"[١٠]

وهو عمدة الأخلاق الحسنة، وصفة من صفات أولي النَّهى، وأساس من أسس دعوة الرسل والأنبيا.

ولما ذكر ابن عمر رضي الله عنهما البر فقال: «شيء هين، وجه طليق، وكلام لين»[١١]

فمن كان ذا طلاقة وبشاشة في وجهه، ولين وطيب في لسانه؛ فقد حوى الرفق بأجمعه.

وقد قيل: «الواجب لمن يعظ ألا يعنف، ولمن يوعظ ألا يأنف»[١٢]

وقيل: «كنْ كمن يعلم الحق، ويرحم الخلق»، وهذا أصل معلوم عند أهل السنَّة والجماعة.

١٠– مرقاة المفاتيح للقاري، "(٣١٧٠/٨)"

١١–أخرجه: الخرائطي في "مكارم الأخلاق"،"(٢٣-٢٤)"

١٢– محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، "(١٦٨/١)"

فأمَّا كونه من صفات أولي النَّهى؛ وذلك لأنَّ الإنكار والاحتساب في هذه الأمة بدأ مع بزوغ شمس الإسلام في ربوع الجزيرة العربيَّة، وفي العهد المكي، وقد كانت سياسة النَّبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة هي "الحكمة" **منذ الأمر بالإنذار إلى الإعلامِ بالإكمال.**

وهذه الحكمة أول المقدمات في الدعوة الربانيَّة، ولهذا خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]

فقدم الحكمة على غيرها لأنَّها من أقوى وسائل الإقناع، وهذه الحكمة داخلة في باب **[الرفق]**،فعن عروة بن الزبير قال: "كان يقال: الرفق رأس الحكمة"[١٣]، ومن يحرم هذا الرفق فقد حرم خيراً كثيراً.

١٣-رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه"، "(**٢٥٣٠٨**)"، ووكيع في "الزهد"، "(ص**٧٧٦**)"، وأحمد في "الزهد"، "(ص**٤٤**)"

وفي هذا المقام ذكر ابن قدامة رحمه الله، **مراتب الحسبة** فقال: التعريف

والوعظ بالكلام اللطيف.

الثالثة: السب والتعنيف، ولسنا نعنى بالسب الفاحشة، بل نقول له: يا جاهل يا أحمق، ألا تخاف من الله تعالى! ونحو ذلك.

والرابعة: المنع بالقهر، ككسر الملاهي وإراقة الخمر.

والخامسة: التخويف والتهديد بالضرب، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه، فهذه المرتبة تحتاج إلى الإمام دون ما قبلها، لأنه ربما جر إلى فتنة"[١٤]

قلت: والتعريف لا يكون إلا لمن جمع العلم، والوعظ هو أصل اللطف، وبقية الصفات معلومة.

---

[١٤] –مختصر منهاج القاصدين، "(ص١٢٥)"

قال ابن عبد القوي في منظومة الآداب:

وَبِالْأَسْهَلِ ابْدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ

فَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِالنَّافِذِ الْأَمْرِ فَاصْدُدْ"[١٥]

وقد أمر الله تعالى به.

فقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣]

وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه:٤٣-٤٤]

وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما قد دلت على ذلك السنَّة النَّبويَّة الصحيحة.

١٥- انظرها: مع "غذاء الألباب" للسفاريني، "(١/٢٤٠)"

ففي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله"[١٦]

وفي "مسند أحمد" عنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق"[١٧]

وعن معمر عن زيد بن أسلم أنَّ رجلاً كان في الأمم مجتهداً في العبادة، ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى، ثمَّ مات فقال: أي ربِ، ما لي عندك؟ قال: أي ربِ، فأين عبادتي واجتهادي؟

قال فيقول: إنَّك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا فأنا أقنطك اليوم من رحمتي"[١٨]

١٦–انظر: صحيح البخاري، "(٥٦٧٨)"، وصحيح مسلم، "(٢١٦٥)"

١٧–انظر: مسند أحمد، "(٢٤٤٢٧)"، وعبد بن حميد في "المنتخب" "(١٤٩٣)"، والبيهقي في "الشعب" "(٦٥٦٠)"

١٨–رواه البيهقي في "شعب الإيمان"، "(٢١/٣)"، وهو في "مصنف عبد الرزاق"، "(٢٨٨/١٠–٢٨٩)"، ومن طريقه أبي نعيم في "الحلية"، "(٢٢٢/٣)"

[صوره]

فالرفق أنَّك تنظر للعصاة وللمخالف نظرة رحمة لا شماتة، وهذا لا يكون إلا من اتق الله، وأراد بفعله وجهه سبحانه وتعالى، وهذا عزيز بنصِّ أهل العلم الثقات وخصوصًا في "مسائل الخلاف"

وفي الباب قصة اذكرها للعبرة، ذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله في "مختصر منهاج القاصدين" "مرَّ فتى يجر ثوبه فهمّ أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً.

فقال صلة: دعوني أكفكم أمره.

ثم قال: يا أبن أخي، إنَّ لي إليك حاجة.

قال: ما هي؟

قال: أحب أن ترفع إزارك.

قال: نعم وقرة عين، فرفعه.

فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مَّما أردتم فإنَّكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم"[١٩]

[١٩] –منهاج القاصدين "(ص١٢٨)" وهو عند ابن أبي الدنيا في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" قريباً منه، رقم، "(٤٨)"

والرفق أن يكون كلامك وفعالك مصحوبة بشفقة تظهر فيها الحكمة، وتعلوها قوى الحجة.

ويروى أنَّ ابن مسعود-رضي الله عنه- جلس في السوق يبتاع طعاماً فابتاع ثمَّ طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال: لقد جلست وإنَّها لمعي فجعلوا يدعون على من أخذها، ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا...

فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه" [٢٠]

وروى أحمد في "الزهد"، وأبو نعيم في "الحلية"، عن العلاء بن المسيب يقول: سرق للربيع بن خيثم فرس فقال أهل مجلسه: ادع الله عليه. قال: بل أدع الله له! اللهم إنْ كان غنيًا فاقبل بقلبه، وإن كان فقيرًا فأغنه"[٢١]

والرفق هو البعد عن التكلف في الخطاب، فليس بالضرورة أن تكون العربية عربية فصحى، بل يكفي الداعية في أوساط العامة أن يأتي باللغة السليمة وهي وسط بين الفصحى وبين العامية، والاعتياد على الفصحى، مع التقعير والتشدق، مما تمجه الأذن وينفر منه القلب،

---

[٢٠] –إحياء علوم الدين، "(٣/٣٨٤)"، ط: المعرفة، ولم يسنده والله أعلم بصحته، فاعلم!

[٢١] –انظر: الزهد، "(١٩٣٦)"، و "حلية الأولياء"، "(٢/١١١)"

وما أجمل ما قاله الربيع رحمه الله: سمعت الشافعي -رحمه الله- يقول: لو أنَّ محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه؛ لكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه"[٢٢]

والرفق يكون باستخدام أسلوب جميل، يحملهم على فعل الخير، والرجوع إلى الله وذلك بأن تأتي بالأدلة ثمَّ تعززها بشواهد صحيحة، وقصص مليحة، وأشعار فصيحة، فهذه من خير وسائل الإقناع، ومن أنفع طرق التأثير، واقناعك للطرف الآخر ينبغي أن يكون بنية الابلاغ والرحمة والشفقة، و "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، و "الأمور بمقاصدها"، والله أعلم.

○ ثمَّ يحتاج الداعية والمحتسب "**الصبر**"، فقال: [**والصبر بعده**]

وهذا الخلق العظيم، لم يأتِ أمر ولا نهيٌ في الغالب إلا وكان مقروناً معه، أو قل إنك إن بحثت في أشدِّ مواطن التعبد وأصعبها وجد الصبر مذكوراً معها، وفي ذلك فائدة أنَّ من خير الوسائل المعينة على

---

٢٢ -ذيل الجواهر المضيئة، "(ص٥٢٨)"، ورواه ابن مفلح في "الآداب الشرعيَّة"، "(١٥٦/٢)"، قال: "وفي تاريخ عبد الله بن جعفر السرخسي أبو محمد الفقيه أخبرني محمد بن حامد ثنا عبد الله بن أحمد سمعت الربيع سمعت الشافعي يقول: لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه لكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه."

الفعل والترك هو [**الصبر**]، ولهذا تكرر ذكره عشرات المرات في القرآن في مواطن مختلفة، وسور عدّة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا"(٢٣)

والصبر خلق الأنبياء، بل هو خلق الصفوة منهم قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]

ولو كان الصبر في صورة رجل لكان من خير الرجال، ولو كان يوضع له مقام، لكان مقامه مقام الرأس من الجسد، فلا قيمة لجسد بلا رأس، ولا قيمة لإيمان لا صبر فيه. ورحم الله أبا علي الدقاق إذ قال: "فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنَّهم نالوا من الله معيته. فإنَّ الله مع الصابرين.(٢٤)

٢٣—انظر: عدة الصابرين، "(ص٧١)"، ط: ابن كثير

٢٤—انظر: مدارج السالكين، "(٢/١٥٨)"

والصبر ينبغي أنْ يكون:

قبل الإنكار؛ بعلمك أنَّك قد تواجه الرافض، والمعير، والمعاند والمؤذي.

والصبر في حال الأداء والتبليغِ والإنكار؛ بأنْ تكون متزانًا، وتقبل من خصمك ما يصدر منه.

والصبر بعد الإنكار؛ بأنْ تصبر على العواقب والمصائب.

بهذا يتضح لك **أنَّ الصبر على أنواع:**

صبر على الأمور

صبر عن المحظور

صبر على المقدور.

والكيَّس من فطن لهذه الأنواع، وكان حكيمًا عند نزولها به، فأظهر لها جلدًا وصبرًا، وتحملًا واسترجاعًا.

ففي "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه قال: قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبرٍ فقال: (اتقي الله واصبري) قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه! فقيل لها إنَّه

النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال: "إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى "[٢٥]

فالشاهد قوله: "إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى"

وقد قيل:"الصبر مثل اسمه، مر مذاقته؛ لكن عواقبه أحلى من العسل "[٢٦]

فوجه الدلالة: أنَّ الحوادث والبلايا لا تدُم، وأنَّ الصابر المحتسب سينال من الأجر ما الله به عليم، فحلاوة الصبر تفوق مرارة البلاء وإن طالت.

وبهذا تعلم لماذا جعله الله تعالى في سورة العصر التي هي من أشرف السور وأعظمها، وفيها من الخير الكثير لما حوت من فوائد وعبر لمن تدبرها، مما جعل أهل التفسير يكتبون عنها في مؤلف مستقل.

٢٥–انظر: "(١٢٢٣)"، وله أطراف وشواهد.

٢٦–انظر: مدارج السالكين، "(١٥٨/٢)"

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله كلامًا معناه: "إنَّ النَّاس أو أكثرهم في غفلةٍ عن تدبر هذه السورة"(٢٧)

فقد حوت هذه السورة العظيمة مقامات مهمة وهي.

مقام العلم.

مقام العمل.

مقام الدعوة

مقام الصبر.

وهذه المقامات هي من أوجب صفات الداعية الرباني الذي يدعو إلى الله على بصيرة.

فالمسلم عامة، والداعية خاصة يحتاج في كل مقام من هذه المقامات إلى مقام الصبر في حال العلم، وفي حال العمل، وفي حال الدعوة.

فهو بحقٍ من منازل السائرين، وبلا جدل من خير مدارج السالكين إلى رب العالمين، ولا يتوقع أن يكون سائر بلا صبر، ولا مؤمن

٢٧–ذكره النووي في "رياض الصالحين" بهذا اللفظ، في "باب التعاون على البر والتقوى"، "(ص٩١)"، ط: مؤسسة الرسالة.

صادق بلا تحمل، أليس في الحديث "إنَّ من أشدِّ النَّاس بلاًء الأنبياء، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم"[٢٨]

وعند ابن حبان في "صحيحه"، عن مصعب بن سعد عن أبيه أنَّه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: "الأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"[٢٩]

فإذا رجوت الطريق، ورغبت في الوصولِ بغير صبر فقد رجوت المحال، والله تعالى أعلى وأعلم.

فأسأل الله أن يجعل هذه الورقات خالصة لوجهه، وأن ينفع بها، ومن دلَّ عليها بخير.

والحمد لله رب العالمين.

[٢٨]–رواه أحمد في "مسنده"، "(٢٧٠٧٩)"

[٢٩]–صحيح ابن حبان، "(٢٩٢١)"